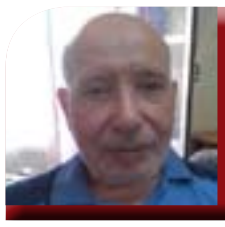

الكاتب حسين مهدي في حوار للنصر

القيم الغربية ملوثة بالعنصرية والكلمة الحرة لا تُصدّ

أجراس

سر مالك!

سليم بوفنداسة

بقدر الدهشة التي تخلّفها جُملته، بقدر الحسرة التي ينتهي إليها قارئه، حسرة على عدم اكتمال قصّة وعلى الصّمت الذي أعقب الروائع القليلة التي فتحت الشهيّة على أدبٍ راقٍ وأبقت المتلقي على جوعٍ أبدي.

يمسكُ بك مالكُ، فتسكن لغته وتطمئن في بذخها غير عابئ بكلفة الإيجار، وكذلك يفعلُ الأدب الحقيقي، في أزمنة الحرب والسلم و في كلّ الأوقات.

أربعُ حركات يستعين بها السّرد المقطّر من الشّعر في مرافقة مصائر مُتأرجحة بين ولع يقتضي الواجب نسف الجسر المؤدي إليه، و تطلّع يصدّه البرود وخيّانة هي الجواب غير العادل على الوفاء، و نقل الحياة إلى الأدب بوصفها ظاهرة أدبيّة، و الخضوع إلى محاكمة لا تمتحن الموقف فقط بل تُخضع الضّمير إلى حساب عسير. أربع حركات في السّرد وأغانٍ قليلة وصخبٌ خارج النص.

سنوات قليلة كانت كافية لاستكمال "المشروع" إن جاز لنا أن نطلق هذه الكلمة التي لا شعريّة فيها على السّحر. سكت مالك حداد، بعد الاستقلال، تاركًا باب التأويلات مفتوحا إلى الأبد: هل فقد الدافع؟ هل اتخذ موقفا من لغة الكتابة؟ هل جنت عليه المسؤوليات وهل جذبته السيّاسة إلى أرضها المخيفة، خصوصًا وأنّ الرجل ترشّح في الانتخابات التشريعية واختارت قسنطينة غيره لتمثيلها، فكانت الصدمة التي أيقظت السّرطان؟ هل خاب ظنّه؟ هل خاف؟ هل خانته الجرأة في أخذ القلم وإعلان الموقف في الجمهورية الفتيّة؟

لا تُجيب الشهادات الشّحيحة، عن هذه الأسئلة ولا تعطي أي مبرّر للصّمت، فالكثير ممن عاصروه لم يعاصروه حقا، فتجد من يصف جماله وإسرافه في التدخين وتشجيعه للشباب، لكنك لن تجد الشهادة العميقة عن حالة الضّياع التي انتهى إليها الكاتب. لا توثيق ولا حوار، مجرّد تخمينات ومشافهات وتقديس تعوزه المعرفة بالأثر وصاحبه.

لكنّ ذلك لم ينل من الحضور الطاغي لهذا الكاتب، فقد استمر بنصوصه القليلة، وبحضوره في غيره، و استمر في قسنطينته و استمرت قسنطينة من خلاله، فلم يكتبها أحدٌ، كما فعل هو، ولم تمنح نفسها لغيره، رغم المحاولات الكثيرة، لأنّه رفع السّقف ولأنّها اكتفت!

تمتلكُ النصوص العظيمة قوّة دفع ذاتي، ولا تحتاج إلى "شطارة" صاحبها وصراخه، هذا هو الدرس الذي يمكن استخلاصه من بقاء مالك طاغيًا في حياتنا، غير قابل للنسيان والتقادم.

46 سنة على اختفائه

كيف تقرأ مالك حداد الآن؟

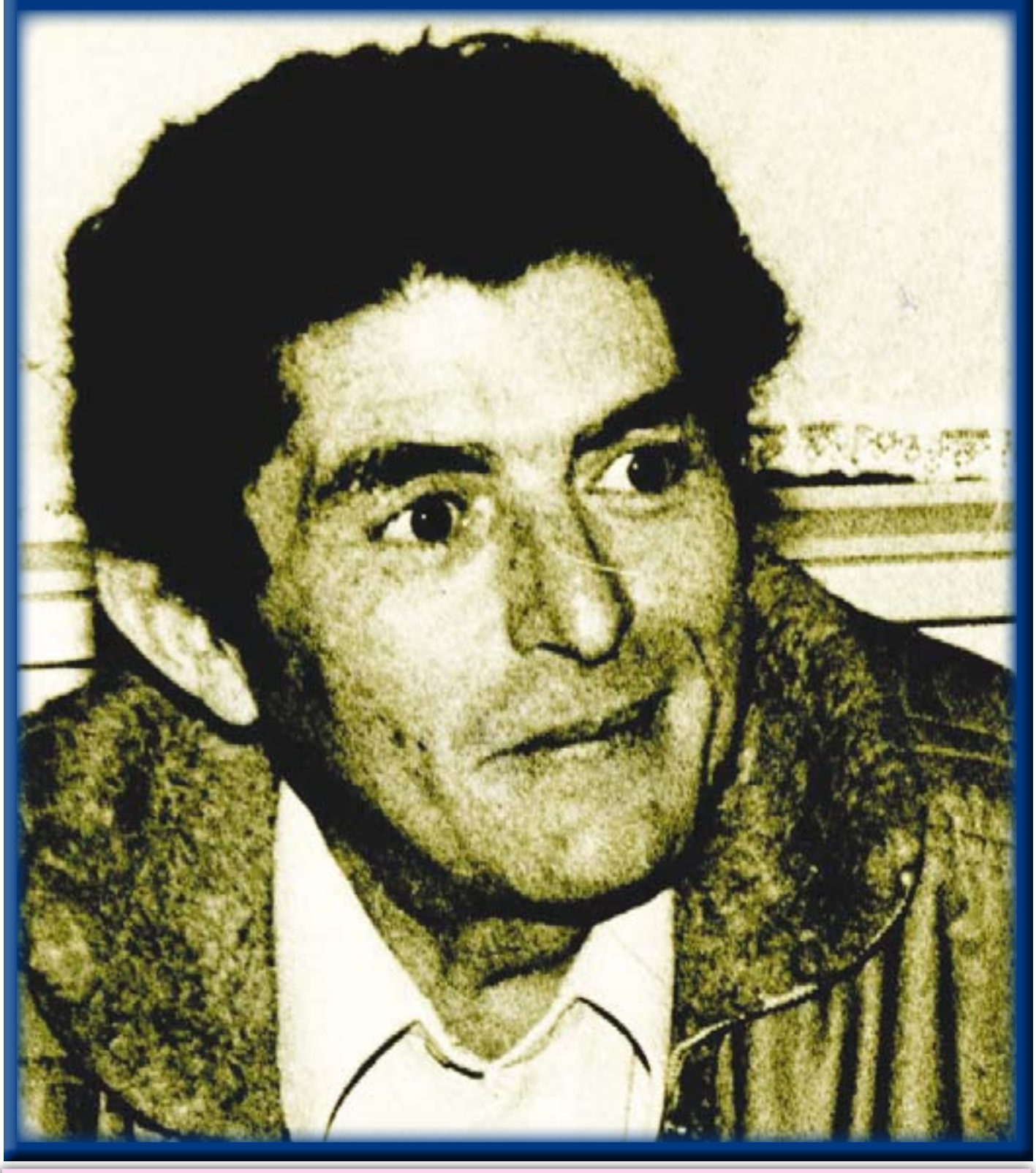

مسارح ومعارض الغرب تحاصر الكلمة واللون

عواصم «الحرية» تدير ظهرها للفن الداعم لغزة

يواجه المثقفون والمبدعون الداعمون للقضية الفلسطينية و الرافضون للحرب على غزة، موجة تضييق وتمييز في استوديوهات الإنتاج و أروقة الفن و معارض الكتب الغربية، وتختنق الأصوات الرافضة للاحتلال داخل رقعة شطرنج تسقط فيها قلاع الحرية تباعا، فمع بداية العدوان وكرد فعل على عملية طوفان الأقصى، أعلن معرض فرانكفورت الدولي للكتاب عن إلغائه حفل تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي،و في هوليوود استغنت وكالة مواهب شهيرة عن النجمة سوزان ساراندون، بعد مشاركتها في مسيرة مؤيدة للفلسطينيين، أما في بريطانيا فلا مكان في أروقة العرض لريشة رسمت عن فلسطين أو عبرت عنها برمزية.

النصر 13 الثلاثاء 4 جوان 2024 م 27 ذو القعدة 1445 هـ

مالك حداد بين منفى اللّغة والتناول الإيديولوجي

لماذا ظل التناول النقدي لأدب وأثر مالك حداد مرتبطا بالإيديولوجيا، وظل مقرونًا بمقولته الشهيرة: «الفرنسية هي منفاي»؟ هل يمكن القول إن النقد ظلم مالك حداد ولم يُنصفه. كما أنّ التركيز على أشهر مقولات الكاتب، لا يعني إغفال أثره الفني والأدبي، لكن الّذي حدث أنّ التركيز على مقولة مالك حداد «اللّغة الفرنسية هي منفاي» ساهمت حقاً وكثيراً في إغفال أثره الفني والأدبي. وتم تناول كتاباته من زوايا إيديولوجية بالأكثر. هذا الكاتب -كما يقول الدكتور بوطاجين- «عاش ناضجاً، وراقياً في رؤاه ومواقفه، ومُحاصراً إلى حدّ ما، وتوفي كذلك لأنّه كان يكتب هالات أدبية بعبقرية الماء والكرز، دون أن يكرّس أيديولوجية ما أو خرافة ما». فهل يليقُ بالنقد أن يزج به وبأثره الأدبي في مساحات ومقاربات نقدية إيديولوجية ضيقة. هل يليقُ به من جهة أخرى، أن يغفل منتجه الشّعري والسردي، لينهمك في تناوله من زوايا إيديولوجية بحتة تستقرئ وتُقارب وتُحلل وتُسائل مقولة قيلت في سياق خاص، وفي ظرف خاص. لهذا لم يتم الانتباه إلى أعمال حداد، إلاّ من زاوية اللّغة، ومن إشكالية اللّغة. وكما تقول الأستاذة نادية قمراوي: «النّظرة الضّيقة نحو الأديب جعلت النّقد يُحاصره في زاوية إيديولوجية دون أن يتجاوزها إلى إنتاجه الرّفيع». في ملف «كراس الثقافة»، لهذا العدد، مجموعة من النقاد والأكاديميين، يتحدثون عن مالك حداد وغياب الاحتواء النقدي الأدبي، والتناول الإيديولوجي.

أعدت الملف: نـوّارة لحـرش

◆الناقد والمترجم السعيد بوطاجين

عاش ناضجاً وراقياً في رؤاه ومواقفه دون أن يكرّس أيديولوجية ما

يُؤكـد الكاتب والناقد والمترجم الدكتـور السعيد بوطاجين، أنّ مالك حداد، لم ينقطع، في واقع الأمر، عن الكتابة نهائيًا لأنه شاعر وموهبة لم تنضـب، والشاعر الموهوب لا يتخلى عن أخيلته أو يتركها عرضة للجفـاف والنسيان لأنها ستوقظه إن غفا أو نسيّ، لكنه توقف نهائيًا عن النشر كموقف من اللّغة التـي عزلته عن ذاته وهويته، وكانتقام منهـا. مُضيفًـا: «لقـد عاش هـذا الكاتب ناضجـاً، وراقيـاً في رؤاه ومواقفـه، ومُحاصراً إلى حدّ ما، وتوفي كذلك لأنّه كان يكتب هالات أدبية بعبقرية الماء والكرز، دون أن يكرّس أيديولوجية ما أو خرافة ما، باستثناء مواقفـه النبيلة من المحتل الّذي حاربـه بأشعاره وخطاباته السَياسية، باستثناء نظرته إلى ممارسات العالم المُتدني، المنحط كثيراً، وإلى القيّـم الإنسانية التي دافع عنها بأفكار فلسفية عميقة لم نولها الأهمية التي تستحقها كنقاد وجامعيين غير معنيين بالأدب والمعرفة، على قيمتها الكبرى في النص الجزائري الحديث».

ومـوازاة مع ذلك -يقول الدكتور بوطاجـين- اتخذ حداد مواقف من قضايـا كثـيرة تسببت له في حرج كبير تسببَ فيـه أصحاب المهنة، وفي عزلـة مستدامـة طمست قدراتـه المذهلـة وآراءه التي قوّضت بعض ما وجب تقويضـه، ومن ذلك مواقفه من اللّغة الفرنسية، ومن بعضـ الفئات الاجتماعيـة والسياسية واللسانيـة والسياسية التي انتقدها بروية في كتاباته، وبمهارة العارف، ودون أيّ تحامل على أحد، كما يمكن أن نكتشف من خلال عدة نصوص، ومنها الانطباع الأخير والأصفار تدور في الفراغ.

صاحب «ما حدث لي غـدا»، وفي سياق متصل باللّغة دائمًا، أضاف: «إذا كان معاصـره، الكاتـب والمسرحي كاتب ياسـين قد ترك مقولة شهـيرة: (الفرنسية غنيمة حرب)، فإنّ مالك حداد خلف بدوره مقولة حاولنـا القفز عليها وتجاهلهـا لأنها لا تخدمنـا كمتحزبين وموالين: (اللّغة الفرنسية منفاي). لقـد كان يشعر بهذه العلاقة الفصلية بينه وبـين المحيط الخارجي عندما قـال: (نحن أيتام القُرّاء). لذلك توقف نهائيًا عن الكتابة، أو ذاك ما شاع عنه». وأردف مُؤكداً: «توقف مالك عـن النشر في واقع الأمر، وليس عن الإبداع، كما أسلفنا الذكر. لقد كان يشعـر أنه غريب في الألفاظ، أجنبـي في جغرافية اللّغة، وهكذا اختار نهايته المأساوية، لكنه حقق ذاته بالانتصار على تردده وعجزه عـن التعبير بلغة غيره، ولذلك كان يقـول، إنّ كلمة الأم لا توجد في الفرنسية».

كان مالك -حسب قوله- يقوم بحفريات لا تنتهي لترقية اللّغة والفعل الإبداعـي، ومع ذلك فإنّ أعماله السرديّـة والشّعريّة لم تعرف رواجاً يليق بمقامها الفعلي، ولم يتم الاعتناء بها، ولم تُترجم إلى لغات عالمية أخـرى، كما انتقلـت إلى العربيَة متأخرة جـداً، وفي طبعات محدودة ظلـت بحاجةَ إلى عناية وترويج، عكس بعضـ الأعمال التي انتقلت إلى لغـات عالمية تأسيساً على منطلقات لا علاقة لها بالإبداعَ الجيد، وهي كثيرة، مع أنها ليست مقنعة، وأقلّ قيمة من كتاباته التي حلقت كالفراشات في سماء الخالق، متجاهلة الحصار المضروب عليها. مُنوهاً في ذات الوقت، إلى أنّه وفي كلّ مرّة يخلق عوالم وموضوعات مدهشة بتلك الطاقة التصويرية التي أربكتِ القارئ، وما زالت.

ذات المتحـدث، يضيف: «كان علينا، نحن الكتّاب والقُرّاء والناشرين والمؤسســات الثقافيــة والمهتمـين بالشأن الأدبـي، أن نمنحه حقه في الطباعـة والتوزيع والترويج لأنه ظاهـرة سردية وشعرية لن تتكرر دائمـاً، دون أن نركـز علـى أنفسنا خوفًا من اجتياحـه، ذلك لأنّ لكلّ تجربـة مكانتها وقيمتها، وليس بمقدور أحد أنَ يمحو الآخر، لكن عظام مالك حـداد تستطيع أن تمحـوّ عدة تجارب لا همّ لهـا سوى الشهرة المضللـة للمُتلقـي الظرفي، على حسـاب الكرامـة البشرية، وعلى حساب المواقف الوطنية والإنسانية».

وخلصـ إلى القولِ: «لقـد انقطع مالك حداد عـن الكتابة بالفرنسية لأنـه لم يعد قادراً على التعَبير بها، أو على نشر ما كتبه لاحقاً، لكنه ظلّ يُرافق الأصوات الجديدة لجيل من الكُتّاب الشباب في مجلة آمال بدايـة مـن 1969، ثم في طبعتهـا الجديدة سنـة 1974، وفي جريدة النصـر عندما كان مسؤولا عـن الصفحة الثّقافيّـة والأدبيّة، أو في وزارة الثقافـة أيّام الرئيس هواري بومدين الّذي كان يكنّ له احتراماً استثنائيًـا، كما فعل مع كاتـب ياسين، عكس ما يسوّق من خَطابات مَضللة، ومريضة بعدة أوبئـة أيديولوجية ولسانية مرتبطة بالدوار والعرش».

◆الناقد والمترجم محمّد داود

طفرة فنية مُتميزة لم يتم الانتباه إليها إلاّ من زاوية اللّغة

يقـول الناقـد والمُترجم الدكتـور محمّد داود: «يُمثـل مالك حـداد في حقيقة الأمر طفرة فنية مُتميزة لم يتم الانتباه إليها إلاّ من زاوية اللّغـة، لكونه رفَض مواصلة الكتابة باللّغـة الفرنسية بعد الاستقلال وهـو القائـل: (الفرنسية منفـايَ، لذلك قـررت أن أصمـت)، وهو القائـل أيضاً وفي مناسبـة أخـرى: (إنّ الصمت ليس انتحـاراً... أنا أؤمن بالمواقـف القصوى. لَقد قررت الصمـت، ولا أشعر بأيِ ندم أو أية مرارة في أن أضع قلمي جانباً)».

وهذا الموقف -حسب المُتحدث- يبرز عُمق الشـرخ والمعانـاة التي واجههـا الكاتب، الّذي ألف العديد من النصوص الروائية والقصصيـة والأشعـار والمقالات، تجاه لغـة تم فرضهـا المُستمِـر علـى الشعب الجزائري بالقوّة.

وهي أيضاً -يضيف المتحدث- اللّغة التي كتـبَ بها مالك حـداد في زمن كان «أخذ الكلمـة» ومُخاطبـة النّاس عـن الوطن وعـن الهويـة مجازفة سياسيـة والتزام أخلاقـي تجـاه تطلعـات شعـب يُعَـاني ويـلات الفقر والقمـع والحرمان والأمية والتجهيلِ.

ثـم أردفِ: «وقـد عاشـ الكاتـب هـذه الظـروف القاسية وتألم كثـيراً بسببها، مَما جعله ينظر إلى هـذه اللّغة التي غزت جَميـع الفضاءات وهيمنـت عليها نظرة ازدراء ولـو بعد حين. مع العلم أنّ النخبة اَلجزائرية لم تجد آنذاك وسيلةَ أخرى تُقاوم بها هذا (الأخطبوط اللغوي) إلاّ من خلال تعلم هذه اللّغة وامتلاكها بقوّة ومقارعة أصحابها في (عقر لغتهم).

لهذا -حسـب ذات المتحـدث- «فقد تعلم مالـك حداد هـذه اللّغة واجتهـد وثابر في إتقانهـا اتقانـاً عاليًا، مما جعـل الفرنسيين يعجبـونَ بقدراتـه التَعبيرية، ووظفهـا للتعبير عن قضايـا الأمة وطموحاتها في التحرّر والانعتاق من العتمة الاستعمارية للتمتع بشعَاع النّور والحرية».وَمُستدركاً أضـاف: «توقف مالك حداد عـن الكتابة، لكنـه لم يتوقـف عـن النشـاط الثقافي وتشجيـع المواهـب الأدبيـة في الكتابـة والإبـداع من خلال المناصـب التي تبوأها في قطاع الثقافة وإتحاد الكُتّاب الجزائريين والكتابـة أيضاً، وعلى الرغـم مما يُقال هنا وهنـاك عن صمته الأدبـي، إلاّ أنّه واصل كتابـة الشّعـر -ولـو بشـكل محتشـم- في الملاحـقَ الأدبيـة للصُحـف الوطنيـة والمجلات».

وفي ذات السيـاق، أي عن موقف صاحب «سأهبـك غزالـة» مـن اللّغـة الفرنسية، واصـل المُتحـدث قائـلاً: «ولعـل مـن الملاحظـات التـي يمكـن تسجيلهـا على المهتمـين بقضايـا الأدب والنقـد واللّغة، أنهم وقفوا عند موقـف الكاتب من اللّغة الفرنسيـة وأهملـوا البقيـة، أي كتاباتـه المختلفـة، ولم تحظ نصوصـه بِمَا حظيت نصـوص كل مـن محمّـد ديـبَ وكاتب ياسين وغيرهما من الأدباء الذين عاصروه وعبروا مثله عن الجرح الجزائري، وتنطبق هذه الملاحظة علي النُقاد الجزائريين سواء الذين يكتبون باللّغـة الفرنسية أو باللّغة العربية، (مع الترجمة العربية)».

وهنـا يتسـاءل الدكتـور داود: «هل كان مالك حداد مُحقاً في موقفه من لغة كَتَبَ بهـا لمدة طويلة ثم طلقها طلاقاً (لا رجعة فيه)؟».

ثـم أردف: «لا نُناقشـ الكاتـب، فهو حر فيما اتخـذه من رؤية فكريـة وفنية من القضَايا الثّقافيّة التي برزت بعد حصول الجزائـر علـى الاستقـلال، إلاّ أننا فقدنا كاتبـاً مبدعاً كبَـيراً كان بإمكانه إضافة أشيـاء كثـيرة في مجال الكتابـة الأدبية الراقية والالتزام السياسي القوي، لأنّ ما تحملـه كتاَباته من رسائل ومواقف نبيلة تجعل منه أديباً من الطراز العالي».

وفي الأخـير، خلصـ إلى القـول: «كان بإمـكان مالـك حـداد مواصلـة الكتابة وعدم التوقـف عنها والصمـت الأدبي، وبشكل كبير، إلاّ أنـه اختار هذا السبيل بعد شعور بضيق كبير َمن مزاحمة اللّغة الفرنسيـة للغة العربيـة، لكن على النقد أن لا يقـف عند هذه العتبـة، بل عليه أن يتعمـق في تحليل وتفسير مـا تركه هذا الأديب الكبير من أثار بديعة».

◆الناقدة والمترجمة نادية قمراوي

النّقد حاصره في زاوية إيديولوجية دون أن يتجاوزها إلى إنتاجه الرّفيع

تستهـل الناقـدة والمترجمـة، الأستـاذة ناديـة قمـراوي، حديثها، باستحضـار فقرة قالهـا صاحب «التلميذ والدرسـ»، ذات سياق خَاصـ، إذ جاء على لسان الشّاعر والرّوائي مالك حدّاد قوله: «ذكر لي (غابريـال أوديسيـو) في يوم من الأيّام إحـدى عباراته الخاصّة التّـي تلخّصـ فكره بشـكل جيّد: اللّغـة الفرنسيّة هـي موطني، وأتذكر إجابتي حينها: اللّغة الَفرنسيّة هي منفاي».

وهنـا تُؤكد المتحدثـة: «لا يعرف عامة المثقّفين من هـذه العبارة إلاّ جزأها الأخير (اللّغة الفرنسيّة هي منفاي)، وقال أكثرهم اطّلاعاً أنّها مقولة عارضة في حديث بين الكاتبين».

ثم أردفت: «لكنّنا نرى أنّها كانت ترجمة لحقيقة مأساته في التّعبير، فهو القائل أيضاً (أراد التّاريخ أن يكون لديّ عيب لغوي)، و(أكتب الفرنسيّـة ولا أكتب بالفرنسيّة)، وكان متأسّفاً من عدم استطاعته التّعبـير بالعربيّة عمّـا يحسّه بالعربيّـة، ويُؤكّـد أنّ ثمّةَ فرقُ بين تفكيره العربي ولسانـه الفرنسي، ومن هنا -حسب رأيه- ستنمو ثقافة على حساب أخرى».

وتضيـف، لقـد «أعـاد حـدّاد مقولته الشّهـيرة في مقالـه المطوّل (الأصفـار تـدور حـول نفسهـا)، عـام 1961 بكثير مـن التّعمّق والتّحليل. ونجدها تعود مرّة أخرى إلى الواجهة بعد الاستقلال عام 1966 كعمود صحفي في جريدة النّصر تحت عنوان (عَظمة الأدب الجزائـري وبؤسه)». وفي ذات السيـاق تواصل الأستاذة قمراوي: «وبمـا أنّ الكاتـب نتاج للتّاريـخ -حسب رأي حداد-، فـإنّ الكاتب الجزائري باللّسان الفرنسي ضحيّة مباشرة للاعتداء الاستعماري، لأنّه طُـردَ من لغته مثلما انتُزعت ملكيّـة الأرَاضي مِن الفلاّحين، فهو في عَزلة دائمـة ومنفى محتوم تَمثّل في لغة لم يخترها ودخلت حياتـه مثلما دخل الاحتلال بلاده دون استئذان، ولن يتجاوز عزلته إلاّ بتأكيد الاستقلالَ وعودةِ اللّغة العربيّة إلى عقر دارها».

وتوقّـع حدّادَ -تقول ذات المُتحدثة- قبـل الاستقلال زوال الكُتّاب مـن جيله الذّين كتبـوا باللّغـة الفرنسيّة بمَجرّد استقـلال الجزائر، وهـو الذّي قال بأنّـه لا يُؤمن بالأدب الجزائـري بَاللّسان الفرنسي لكنّـه يُؤمن بأهميّته. ثم تضيف: «لكن، يعود بعد الاستقلال ليُفنّد أطروحاته السّابقة -التّي وُلدت في سياق الاحتلال- فيتغيّر خطابه وتتّسع آفاقه، حتّى صار يرى إلهام موضوعَات الرّوايات وأسباب القصائـد في كلّ مكان دون أن يطرح إشكالية اللّغة التّي ستُكتب بهـا؛ وتـرك هو نفسه مخطوطـات لم تَرَ النّـور في حياته، وكُتبت جميعهـا باللّغة الفرنسيّة. ويصـرّح في مقال له بجريـدة النّصر: (هـذا الانتقـاد غير عـادل لأنّنا لم نتوقّـف عن التّعبير والمساهمة في صُحفَنـا الوطنيّـة، والمشاركة رغـم عزلتنا في الحيـاة الثّقافيّة للجزائـر). وبالنّسبة لـه شخصيًا تمثّل خروجه عـن صمته الأدبي بنشـر قصيدتـه «« je suis chez moi en palestine » بجريـدة النّصر عام 1967».

فهـل يُمكننا -تتساءل المتحدثة- التّحدّث بعد ذلك عن صمت مالك حدّاد أو عزلته الأدبيّة؟.

وهنا تحديدا، -تعتقـد-، أنّ مساهمات مالك حدّاد في جريدة النّصر وغيرها بعد الاستقـلال جعلت منه صحفياً بخلفية أدبيّة أثرى من خلالها رصيدهَ بكتابـات كانت أبعد ما تكون عن اللّغة الصّحفية المُباشـرة، وتنوّعت بين الشّعر والحكايـة، والحوار والرّأي، والعمود الصّحفـي والتّأمّل والتّحقيق. وكلّ ذلـك باللّغة الفرنسيّة التّي لم تكن بينه وبينها عداوة؛ فقد أحبّها وأحسّ بغربة في أحضانها، لكنّه لم يتنكّر لها لأنّها -على حدّ تعبيره- الوسيلة الوحيدة التّي يمتلكها للتّواصل مع قُرّائه وأبناء بلده.

واختتمـت بقولها: «إنّ النّظـرة الضّيّقة نحو الأديـب جعلت النّقد يُحاصره في زاوية إيديولوجية دون أن يتجاوزها إلى إنتاجه الرّفيع قبـل الاستقلال وبعده. وهو الشّاعر والأديب المُلتزم، صاحب القلم السيّال اَلذّي وقف في صفّ الثّورة الجزائريّة، وجعل منها موضوعاً مُباشـراً لإنتاجه الأدبي على اختلافه. فمـن المُجحف ارتباط نظرة النّقاد أو الدّارسين بمقولة أمْلتهَـا عليه ظروف الاحتلاَل، وإغفالهم روح الأدب الجزائرية الثّورية الملتزمة، والتّي كُتبتَ كلّها بهذه اللّغة التّي كبّلته ولم تنجح في كتم إحساسه الصّادق».

◆الناقد والكاتب إبراهيم مشارة

كانت اللّغة بالنسبة إليه حمولة فكرية وتاريخية وشعورية

يقوا الناقـد والكاتب إبراهيم مشارة، مـن جانبه، إن: «مالك حـداد الّذي عاشـ في زمـن الاستعمار والحركـة الوطنية، وانخـرط في النضال ضـد الاَستعمـار، مُتخذاً مـن اللّغة وسيلـة مقاومة، أوليس هو القاَئـل (أكتب بالفرنسية لأقولِ للفرنسيين أني لست فرنسيا) لكن فرنسيته لم تكن اختياراً، بـل اضطراراً، فقد كان لا يعـرف اللسان العربي، ومَع ذلك اعتبرَ الثقافة العربية الإسلامية ثقافته الحقيقية، وظل يهفو إَليها ويحس بالألم العميق أنه ليس قادراً على تذوق جمالها وسـبر عُمقها، والإفادة من تراثها العريـق في الشّعر والنثر معاً».

وفي ذات المعطـى أضـاف: «إن كان كاتـب ياسـين يعتـبر الفرنسيـة غنيمة حـرب، ويختارها محمّد أركـون لُممارسة الحفـر المعـرفي والنقـد الجذري للفكـر العربـي، وهو يتقن العربية وقرأ كلاسيكيـات الفكر العربي، مُتحججاً بالطابع التبجيلي في العربية والحمولة الدّينيّة والفراغات المفهومية، ومخافة سـوء التأويل من جهة أخرى، فـإنّ مالك حداد ظل يقول بلا كلل (اللّغة الفرنسية منفاي)».

ثـم أردفَ قائلاً: «مالك حداد الّذي تفتح وعيه النضالي على الحركـة الوطنية وانخرط في النضال ضـد الاستعمار منذ نعومـة أظافـره، وسافـر إلى المشرق للدعايـةَ للثورة، وفي مدينـة حلب السوريـة تعـرف بالشاعر العروبـي سليمان العيسى وزوجته المترجمة ملكة أبيض العيسى، التي عرّبت ديوانه الشّعري (الشقاء في خطر) عام 1979».

وتكشف َهـذه العلاقة -حسـب المتحدث- بـين مالك حداد وسليمـان العيسـى وزوجته عـن الحس القومـي للكاتب، وانخراطـه فيه، فالقضية العربيـة واحدة هي قضية التحرّر من الاستعمار وبنـاء الأوطان على أُسـس الحرية والعدالة والمساَواة والدفاع عن القيم الإنسانية، والاِنخراط في قضية التنويرِ من أجل غد عربي واِحد ومشرق.

ذات المُتحـدث قال متسائلاً: «مالك حـداد صاحب الروايات (التلميـذ والدرس)، (سأهبـك غزالة)، (رصيـف الأزهار لا يجيـب) اختـار الصمت بعـد الاستقـلال، وأثر عنـه قوله (تفصلنيَ الفرنسية عن وطني أكثر ممَا يفعل البحر الأبيض المتوسـط). هـل كان يـرى أنّ مواصلَة الكتابـة بالفرنسية مسألـة غـير مجديـة؟ وأنّ المستقبل للعربيـة وأنّ الإصرار علـى الكتابـة بالفرنسية هو ضـربٌ من العدميـة والخواء، فاللّغـة ليست مجرّد ساعي بريد حيـادي، بل حمولة فكرية وتاريخية وشعورية».

لم يتنصـل مالـك حـداد -يضيـف المتحدث- مـن واجباته الثّقافيّـة والملتزمـة إبـان الاستقلال، فقد اختـار العمل مع النظام في زمن هواري بومدَين، وكان من اَلمُؤسسين لإتحاد الكُتّـاب الجزائريـين في صيغتـه الجديدة عـام 1974 وقبل ذلك أصـدر مجلة (آمال) وهي مجلة تهتم بالكتابات الشابة الواعـدة، أي أنه عبّد الطريق أمام الجيـل الجديد، من شباب الاستقلال الّذي مارس الكتابة الشّعريّة والسّرديّة بالعربيّة. مُشَيراً، في الأخـير، إلى أنّ بعض اَلكُتّاب -غير مالك حداد-، اختـاروا مواصلـة الكتابة بالفرنسية، وعـاد بعضهم إلى العَربية ثم عادوا إلى الفرنسية من جديد، ولكنهم لم يُحققّوا هـذه الشهرة وهذه النجوميـة، على الرغم مـن أنّ بعضهـم اختار الفرنسية لُمهاجمـة العروبة والإسلام، وتقديم صورة هَزلية للتراث العربي الوطني.

الكاتب والأديب حسين مهدي في حوار للنصر

القيم الغربية ملوثة بالعنصرية !

زارت النصر الشاعر والقاص والروائي والسيناريست حسين مهدي في منزله بالمدينة الجديدة علي منجلي بقسنطينة، وهو الذي اختفى منذ سنوات عن المشهد الثقافي، وقد أخبرنا أحد أصدقائه بأنه أصيب بشلل القدمين والذراع اليمنى، ودخلنا غرفة الاستقبال التي رغم مساحتها الضيقة إلا أنها نظيفة ولطيفة وذات ديكور شاعري يشبه العش الملائكي بشاعريتها وحميميتها، وما هي إلا لحظات حتى دخل حسين على كرسي متحرك، ليبدأ هذا الحوار.

لقاء: رشيد فيلالي

مدير «لو نوفال أوبسيرفاتور» جون دانيال اشتكى من حدة قلمه !

دون شك، فإن أغلب الكتاب والصحفيين والأدباء من الأجيال الجديدة، المعربين منهم والمفرنسين على حد سواء لا يعرفون حسين مهدي، فهو كاتب قليل الحضور في "الولائم" الثقافية، لكنه في المقابل غزير الكتابة والنشر بشكل لا يصدق ! فلقد أدلى بدلوه في جميع أجناس الأدب دون استثناء تقريبا، ونال إشادة من النقاد والدارسين المهتمين، حيث أبدع في القصة القصيرة والشعر والرواية والدراسات المطولة والسيناريو السينمائي.. فضلا عن مساهماته الصحافية الثرية التي جلبت له الكثير من "الصواعق" في الداخل والخارج، وذلك بسبب جرأتها البالغة وقوة منطقها وحججها الدامغة ولغتها الجزلة التي تذكرك بكبار الكتاب الفرنسيين الكلاسيكيين ،خصوصا مقاله المطول المنشور في ملحق "الجزائر الأحداث" الناطقة بالفرنسية، ويحمل عنوان "ماذا يريد اليهود؟! ".

كان ذلك في أواخر السبعينيات، وكان الكيان الصهيوني في أوج جنون عظمته و جبروته وغطرسته، ومع ذلك يتجرأ كاتب جزائري شبه مغمور على انتقاده ، حيث تناقلت وترجمت عدة صحف مقاطع من هذا المقال، وردت عليه بعنف سخي واستثنائي ، ومن شدة الضربة وهولها أن مدير تحرير مجلة "لو نوفال أوبسيرفاتور" الفرنسية وهو اليهودي من أصل جزائري جون دانيال، لم يتمالك أعصابه وكتب إلى مسؤولي الصحيفة وباسم مهدي حسين شخصيا، يشتكي فيها من غلواء هذا الصحافي ، صاحب القلم الحاد واللغة المشحونة بالكراهية ضد اليهود، وقد اطلعت على الرسالة شخصيا منذ سنوات، قبل ضياعها في مكتبة مهدي العامرة بالكتب والأوراق والملفات الضخمة..

وثمة حادثة أخرى كنت شاهدا عليها ،وهي أن مهدي حسين دخل في مناظرة علمية مطولة من المستوى العالي مع مناظرات أخرى أجراها حسين مهدي مع كتاب كبار ومنهم فرنسيون.

طفولة بائسة تحت جزمة عساكر الاستعمار !

وقد يتساءل من لا يعرف حسين مهدي عن سر هذا التمكن الكبير من ناصية اللغة الفرنسية، وما هي الشهادات الأكاديمية العليا التي حصل عليها ومن هم أساتذته، وما إلى ذلك من الأسئلة الشرعية ذات الصلة بتكوينه ككاتب.

وفي حقيقة الأمر فإن مهدي حسين هو كاتب عصامي، علم نفسه بنفسه، أما سر تمكنه من اللغة الفرنسية فقد ولدت بذرته الأولى خلال مرحلة طفولته بنهج الثوار وسط مدينة قسنطينة، حيث ولد عام 1946 في عائلة فقيرة تتكون من سبعة أفراد، وقد درس المرحلة الابتدائية بمدرسة الحي على يد مدرسين فرنسيين بعضهم ، وكانوا كما قال لي يكرهون الجزائريين وفي إحدى المرات ونظرا لكون الطفل حسين متوسط المستوى، فقد وبخه المعلم الفرنسي بسبب عدم قيامه

بواجبه المنزلي، ولم يكتف بذلك، إذ كتب على لوحة بالفرنسية "أنا حمار !" ويقصد به حسين، ثم قاده في جولة ماراطونية معه عبر الأقسام إمعانا في إهانته والحط من قدره ،وهذا يتنافى طبعا مع أدنى المبادئ البيداغوجية، وأحس حسين حينها وكأن كل كيانه قد سحق وطحن طحنا، وقرر بعدها أن ينتقم من معلمه ومن الفرنسيين بإتقان لغتهم والرد عليهم بقوة تزلزلهم ،كما قال بإحساس نابع من كيان يتفجر ثورة وغيظا، وقد ضاعف من هذا الإحساس ما كان يشاهده بأم عينيه من ظلم واعتداءات وإهانات يومية على يد الجيش الفرنسي الذي كثيرا ما يزورهم فجرا، فيقرع باب الدار حتى يكاد ينخلع ويبسط أرضا، وكان والده يسارع لارتداء ملابسه وهو يرتعد هلعا ورعبا، وكانت أمه وبقية إخوته يبكون بحرقة ويخفون وجوههم بين ركبهم خشية الاعتداء عليهم من طرف العساكر الفرنسيين المتوحشين،والبقية نعلمها جميعا حيث يصفع الأب ويسحل إلى الخارج ويذاق سوء العذاب على ذنب لم يقترفه سوى أنه جزائري في وطنه يعيش وسط أهله، كل هذا وغيره ترسخ في لاوعي الطفل حسين ولم يفارقه قيد لحظة ولذلك فإن الانتقام من المستعمر الفرنسي بكل الطرق صار بالنسبة له تحصيل حاصل.

يصحح أطروحات الدكاترة وهو يحمل شهادة الابتدائية !

بعد بلوغه مرحلة ما كان يسمى بـ CEP شهادة الدراسة الابتدائية، انتهت مرحلة التعليم بالنسبة لحسين مهدي وكانت هذه الشهادة أعلى ما ناله في مسيرة تعليمه الرسمي وحياته الدراسية، وقال بأن في تلك الفترة استمر لديه الإحساس بأنه خلق للكتابة وأن القلم سيكون قرينه الأبدي وكان يرى الكلمة أقوى من الرصاصة في صد الظلم ومقلمته شبهها بحاملة الصواريخ ، وبناء عليه راح يقرأ كل قصاصات الصحف التي يجدها مرمية في الشوارع، إذ لا قبل له باقتناء الجرائد لبؤسه وخواء جيبه، كان عمره 15 عاما حين بدأ يقلد ما يطالعه في الصحف وعندما يعثر على مجلة يقرأ موادها أكثر من ثلاثين مرة ! إنها شهوة المعرفة و نهم للعلم لا ينطفئ ولا يرتوي، يقرأ كل شيء يقع تحت بصره ويحاول تقليده بالكتابة والنسخ مرات ومرات ومرات ، إلى أن تجلت أمامه بوادر التمكن من جملته التعبيرية، جملة عصية غازلها طويلا وكانت على حد تعبيره تذوب في كل مرة بين أصابعه المحروقة مثل ماء الثلج.

الكتابة بالعربية ..ذلك الحلم المجروح !

وبعد محاولات طويلة وشاقة دبج أول قصائده الشعرية، والطريف أن أول هذه القصائد نشرها في جريدة النصر قبل تعريبها ورضي عنها، وحملت عنوان "إنه جويلية"في إشارة إلى يوم الاستقلال..يوم عالق في ذاكرة وجرح وكيان الفتى حسين لا يبرحه..وقد سكنت تلك الفرحة رغم مرور عدة سنوات على استعادة الحرية و الاستقلال أعماق وجدانه، وكانت فرحة لا توصف مبللة بالدموع والابتسامات العريضة، وشهقة إثبات الذات الهائمة في متاهات الوجود..ومع الأيام توالت القصائد تباعا، وهي تضيء مثل حباحب الليل دربه المليء بالمطبات والتحديات والشعور بالقهر والفقر والبطالة والضياع. وقد أنصفه القدر بعد سنوات، حيث صار يصحح أطروحات الدكتوراه والرسائل العليا، لكن ما ظل يحز في نفسه طويلا وإلى غاية اللحظة الراهنة هو عدم قدرته على الكتابة باللغة العربية التي يعشقها حد النخاع، وقال لي إنه كلما مسك القلم وبدأ الكتابة من اليسار إلى اليمين يحلم بأن يعكس القلم اتجاهه ويمضي من اليمين إلى اليسار، غير أن هذا الحلم لم يتحقق مع الأسف الشديد ويالها من خسارة فادحة، على حد تعبيره !

ولأن الهجرة كانت بابا من أبواب البحث عن لقمة الخبز، سافر حسين إلى فرنسا، حيث اشتغل في مهن عديدة: نادل في مطعم، عامل يدوي، وحتى حمالا، لكونه كان يتمتع ببنية قوية وفتوة ونشاط دائمين، وكان حين ينتهي من العمل يقصد إحدى المقاهي الباريسية لتناول ما تسنى له من طعام يسد به رمقه، وهناك كان يلتقي بصحافيين وكتابا يسردون تجاربهم في الكتابة والإبداع، وكان يسترق لهم السمع ويتأثر بما يتباهون به من فتوحات أدبية أو صحفية مما شحن روحه وحفزه لبذل مزيد من الجهد كي يكتسب اللغة الفرنسية ويتقنها ويكتب بها للرد على المستعمر بما يفهمه جيدا وبلغته تحديدا، وقد كانت كتابات مولود فرعون وكاتب ياسين ومحمد ذيب خير معين له في صقل موهبته ونظرته للآخر المتغطرس والمتعالي والمتوحش رغم ما يدعيه من تحضر وتقدم. هذا الآخر الممثل في المستعمر الفرنسي الذي يفتخر بقيم إنسانية سامية لكنها قيم ملوثة بالعنصرية المقيتة وكان شاهدا على ذلك. وعن هذا قال لي حسين مهدي وهو يسترسل في الحديث بصعوبة، إن من أكبر أسباب دعم الغرب للكيان الصهيوني الغاشم، في عدوانه الهمجي على غزة اليوم، كون هذا الكيان هو عبارة عن عصابة مهاجرين غربيين يحملون القيم ذاتها والنظرة الدونية للآخر وخصوصا إذا كان عربيا مسلما، وهو ما يفسر هذا التكالب الصهيوني بدعم من الغرب عموما ضد الفلسطينيين، لاسيما في غزة التي حطمت عنجهيتهم ومسحت بكرامتهم الأرض، ومازالت تلقن دهاقنة الشر دروسا في البسالة والصمود وفنون القتال وجها لوجه ومن المسافة صفر وقبل الصفر وبعد الصفر ! وأضاف مهدي موضحا " علينا أيضا أن ننتبه لحقيقة مؤلمة وهي أننا لا نستعمل اللغة بحمولاتها الدلالية ذاتها، فمثلا مفهوم الديمقراطية في الغرب موضوع على مقاس الغربيين وهو ليس مفهوم الديمقراطية عندنا أو عند

الآسيويين وهكذا دواليك، ولذلك علينا ألا نندهش أمام ما نعيشه الآن من ازدواجية المعايير الغربية في التعامل مع القضية الفلسطينية والأوكرانية، ومن ثمة علينا أن نفرض وجهة نظرنا الإنسانية الحقة دون إحساس بالنقص والدونية"..

وعاش حسين في فرنسا وهو يشاهد بأم عينيه وعلى المباشر دون روتوشات، كيف يستعبد العرب هناك وكيف يعلن الفرنسيون كراهيتهم للجزائريين بالذات باغتيالهم في هجمات تتكرر يوميا دون أن ينال المجرمون جزاء فعلتهم المنكرة، وقد اختار العنصريون الفرنسيون ضحاياهم من الجزائريين لأنهم الوحيدون الذين تحدوا فرنسا وقاتلوها وانتصروا عليها رغم أن الثمن كان باهظا جدا، ملايين الشهداء وما يتبعهم من يتامى وأرامل ومعوقين ومفقودين، وحول ذلك أصدر كتابه المهم "لو حكوا لي عن الحقد"(1983) هذا الكتاب الذي ضم العديد من الشهادات الحية حول الجرائم العنصرية ضد الجزائريين في فرنسا وقد حظي لدى النقاد باهتمام بالغ، لاسيما وهو فريد في بابه من حيث أسلوب التناول والمعالجة وجرأة المؤلف في فتح ملفات كانت شبه طابوهات، طالما أنها تفضح فرنسا بالدليل والحجة وهي التي عادة ما تتغنى بالتحضر والثقافة والتقدم وأنها أرض الحرية والمساواة والعدالة. وقد قال الكاتب الفرنسي جون دوجو Jean Dejeux مؤلف كتاب "الأدب الجزائري المعاصر"لحسين مهدي:" شكرا جزيلا على شهاداتك المؤثرة والحقيقية مع الأسف، وصدقني سيدي بأن الفرنسيين الأصيلين يخجلون ويتألمون من هذه الأفعال التي كان مواطنوك ضحايا لها..." ونشرت حول الكتاب قراءات نقدية موسعة وعميقة في "جزائر الأحداث" و"المجاهد" و"أسبوع الهجرة" في باريس و"النصر" بالفرنسية و"الزمن" التونسية الناطقة بالفرنسية وغيرها من الصحف والمجلات ووسائل الإعلام بما فيها الثقيلة..

أكثر من عشرين كتابا مخطوطا ينتظر النشر !

ولم يكتف حسين بإصدار هذا الكتاب بحجمه المتوسط(156 صفحة عن المؤسسة الوطنية للكتاب)، إذ له كتب أخرى عديدة تتضمن الانتقادات عينها، بنفس الروح الثائرة والنفس الانتقامي من عدو غادر دمر عروشا وقرى ومدنا بأكملها ومحاها من الوجود، في مذابح بربرية وإبادات جماعية طالت البشر والحجر والحيوانات، وحتى الآثار والمعالم الثقافية والتاريخية لم تسلم من بطشه وهمجيته..

ولو تصفحنا "التيمات" التي تطرق لها حسين مهدي في جل كتبه التي تربوا عن الخمسة بغض النظر عن المسودات والدواوين الشعرية والمقالات الصحفية والدراسات التاريخية وهي بأعداد كبيرة ومازالت ترقد في الرفوف وعلب الكرتون، فإننا سنجدها تدور حول موضوع الاستعمار الفرنسي للجزائر والاستعمار الصهيوني لفلسطين، إضافة إلى النقد الاجتماعي والفلسفة والآداب العالمية والسينما والمسرح..

وتجدر الإشارة إلى أن كتب حسين مهدي ومسيرته الأدبية أنجزت حولها أعداد معتبرة من الرسائل الجامعية وخاصة بجامعة قسنطينة، ولو سمحت ظروف النشر لصدر له على الأقل 20 كتابا هي خلاصة تجربته في الكتابة والإبداع والنقد والتاريخ والتحليل السوسيولوجي، إضافة إلى كتابة السيناريو وقد صدر له ضمن هذا المجال الأخير سيناريو فيلم تلفزيوني بعنوان "الثائرة"(1975) .

المؤرخ الجزائري محمد حربي، وقد اضطر هذا الأخير للتراجع والتخلي عن متابعة المناظرة من جراء النفس الطويل الذي يتمتع به مهدي في ردوده، وهناك

مسارح ومعارض الغرب تحاصر الكلمة واللون

عواصم "الحرية" تدير ظهرها للفن الداعم لغزة

يواجه المثقفون والمبدعون الداعمون للقضية الفلسطينية و الرافضون للحرب على غزة، موجة تضييق وتمييز في استوديوهات الإنتاج و أروقة الفن و معارض الكتب الغربية، وتختنق الأصوات الرافضة للاحتلال داخل رقعة شطرنج تسقط فيها قلاع الحرية تباعا، فمع بداية العدوان وكرد فعل على عملية طوفان الأقصى، أعلن معرض فرانكفورت الدولي للكتاب عن إلغائه حفل تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي،و في هوليوود استغنت وكالة مواهب شهيرة عن النجمة سوزان ساراندون، بعد مشاركتها في مسيرة مؤيدة للفلسطينيين، أما في بريطانيا فلا مكان في أروقة العرض لريشة رسمت عن فلسطين أو عبرت عنها برمزية.

نور الهدى طابي

ازدواجية في تقدير الريشة وسنار لا يرفع للجميع

الحرب على غزة لم تحرق الأرض و البشر فقط، بل طال العدوان كل أوجه الحياة، فالحصار الصهيوني و الغربي ضرب أيضا على المبدعين و المثقفين الذين صاروا ملاحقين داخل الوطن وخارجه، بتهمة "الكراهية"، لتشوه السياسة الوجه الجميل للفن وتحاول اقتلاع حنجرته، و يتحول التضامن مع غزة وأهلها إلى جريمة و مجازفة كبرى، في ظل تبني الغرب للمفهوم الجدلي لمعاداة السامية، الذي أسسه التحالف الدولي لذكرى الهولوكوست، وهو ما يفضي إلى إسكات كل الأصوات التي تعادي إسرائيل و تدعم القضية الفلسطينية، عن طريق سن قوانين وتشريعات تقيد التعبير بكل أشكاله.

في بريطانيا، أثار مجلس الفنون جدلا واسعا مطلع شهر جانفي من السنة الجارية، بعدما أصدر لائحة مبادئ توجيهية تحذر المنظمات من التصريحات السياسية التي يمكن أن تنتهك اتفاقيات التمويل، حركت اللائحة رفضا واسعا في أوساط النخب الفنية و الثقافية وهو ما دفع بالمجلس إلى التراجع عنها، مع ذلك فإن تبعات الإعلان كان لها تأثير سلبي كبير على الفن الداعم لفلسطين.

وفي تقرير لموقع ميدل إيست آي، عن واقع المبدعين الداعمين للقضية الفلسطينية في المملكة المتحدة منذ تاريخ 7 من أكتوبر الماضي، تمت الإشارة إلى أن أعمالهم المسرحية تعامل بتمييز، كما تعزل ألوانهم عن غيرها،و وتوصد الأبواب في وجوههم على خلفية انتمائهم و رمزية فنهم.

وجاء في التقرير الذي صدر في 21 أفريل 2024،أن المسارح والقاعات ترفض السماح لهؤلاء الفنانين بتقديم عروض عن القضية أو تشير إليها، كما تشترط عليهم في بعض الأحيان "إزالة كلمة فلسطين لأجل السماح للعمل برؤية النور".

وتضمن العمل، شهادة لناشطة ثقافية وتشكيلية لبنانية مقيمة في بريطانيا، قالت إنها تواجه مواقف محرجة في أماكن العرض كلما حاولت الحصول على مساحة لتقديم أعمال تتحدث عن فلسطين مقابل معاملة مختلفة إن تعلق الأمر بأعمال تناقش مواضيع أخرى، وأوضحت بأن هناك أسئلة تتكرر كثيرا في هذا الجانب من قبل مسيري المعارض ومدراء أروقة الفن، إذ تسأل غالبا عن سبب عدم إدراج وجهة النظر الإسرائيلية في العمل الفني، مع مخاوف من إمكانية أن يسبب العمل ردود فعل رافضة أو احتجاجات فيكون قبوله " مجازفة".

و أشار التقرير أيضا، إلى أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد فمن الممكن جدا أن تلغى مواعيد فنية أو ثقافية لفنانين فلسطينيين أو آخرين معروفين بدعم القضية، وقدم أمثلة عن حوادث سجلت في مسارح و مراكز للفنون على مستوى المملكة، أين علقت أو ألغيت مواعيد بحجة " مخاوف أمنية أو تعقيد الوضع في غزة"، على غرار مركز الفنون أرنولفيني، ومسرحي تشيكنشيد و باريكان.

وقد تبين بأن ضغط اللوبي الصهيوني في بريطانيا يعد خلفية للتضييق الذي يتعرض له الفنانون الداعمون للقضية، وأن مجلس " الممثل اليهودي" في مانشستر مثلا، كان وراء قرارات لإلغاء أنشطة فلسطينية لأن الفنانين الذين ينشطون فيها " معادون للسامية".

من جانب آخر، ذكر مغني الراب البريطاني من أصول عراقية " لوكي" في مقابلة له مع قناة الجزيرة، أنه استهدافه بحملة تشويه على منصة " سبوتيفاي" بسبب أغنيته " عاشت فلسطين" التي اعتبرت تحريضا على العنف و الكراهية .

«تفصيل ثانوي» يفضح كليشيهات معاداة السامية

أحداث السابع من أكتوبر، فضحت أيضا وبشكل صارخ ازدواجية المعايير والتحامل على كل ما هو فلسطيني، فأول رد فعل للدوائر الثقافية الغربية على عملية المقاومة، كان قرار إدارة معرض فرانكفورت الدولي للكتاب بإلغاء حفل تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي، و التي كان من المفترض أن تحصل على جائزة "ليبراتور" عن روايتها "تفصيل ثانوي".

وقال حين ذاك، مدير المعرض يورجن بوس: " في ضوء الهجوم الإرهابي على إسرائيل، ستبحث جمعية ليتبروم التي تمنح الجائزة عن مكان مناسب لتلك الفعالية في وقت ما بعد معرض الكتاب".

وأضاف:" إن المعرض يعتزم "جعل الأصوات اليهودية والإسرائيلية مرئية بشكل خاص في المعرض" متجاهلا لذلك معاناة الشعب الفلسطيني المحتل منذ أزيد من سبعين عاما، و كون الكتاب والكاتبة هما واجهة لواقعه المرير".

وقد خلف القرار حالة من الاستنكار و الاستهجان على مواقع التواصل الاجتماعي وردت مؤسسات عربية بالانسحاب من المعرض كما قاطع مثقفون من أمثال الروائي الجزائري واسيني الأعرج الفعالية.

هذا وقد كانت رواية الكاتبة الفلسطينية مهمة جدا، خصوصا وأنها واحدة من الأعمال التي أشيد بها لما قدمته من قراءة مستفيضة تكشف الاستخدام المكرر و المستهلك لكليشيهات معاداة السامية، فالعمل الصادر سنة 2017 يتناول قصة فتاة فلسطينية تتعرّض للاغتصاب ثم القتل على يد كتيبة إسرائيلية بعد نكبة عام 1948.

وفي أمريكا، اضطرت " منظمة القلم الأميركية" لإلغاء حفل توزيع جوائزها لعام 2024، بعد أن سحب نحو نصف الكتاب المرشحين لجوائزها أعمالهم احتجاجا على موقف المنظمة بشأن الحرب على غزة.

وأعلنت المجموعة المخصصة لحرية التعبير، وفقا للمجلة تايمز " أن نحو 28 من أصل 61 مرشحا سحبوا أعمالهم، بسبب افتقار المنظمة لدعم الكتاب الفلسطينيين".

كما أشارت تايمز "إلى أن المقاطعة جاءت وسط استياء

متزايد في المجال الأدبي بشأن ردة فعل منظمة القلم الأميركية على القصف الإسرائيلي المستمر على غزة، وصمتها عن الإبادة الجماعية الإسرائيلية ضد سكان القطاع ، إذ سبق لكتّاب وشعراء توجيه رسالة مفتوحة إلى القائمين عليها، وقّع عليها أكثر من 600 كاتب وروائي من جنسيات متعددة، لدعوتهم إلى اتخاذ موقف واضح وصريح بشأن العدوان. "

وجاء في بيان الانتقاد، الذي وجه إلى المنظمة: "لقد خاطر الشعراء والعلماء والروائيون والصحافيون وكتاب المقالات في فلسطين بكل شيء، بما في ذلك حياتهم وحياة عائلاتهم، من أجل مشاركة كلماتهم مع العالم. ومع ذلك، يبدو أن منظمة PEN America غير مستعدة للوقوف معهم بحزم".

عدسة هوليوود لا تضيء كل الزوايا

مثل المسرح و الفن التشكيلي و الأدب، تتخبط السينما الفلسطينية وتصارع كغريق أمواج العداء والتضييق، فالفيلم الفلسطيني " فرحة" تعرض لهجوم كبير من السياسيين الإسرائيليين بعد عرضه على منصة نتفليكس، وانتقده وزير المالية و وزير الثقافة بحكومة الاحتلال بسبب تناوله أحداث النكبة، كانت وقد هناك مطالب بوقف عرضه، ومن الأفلام الفلسطينية التي تعتبر شكلا من أشكال المقاومة، وتحارب كأبطالها " باراديز ناو" الذي صور تحت القصف، إذ شنت طائرات الاحتلال هجوما صاروخيا بالقرب من موقع التصوير. أما فيلم " ديفين إنترفنشن"، فقد كان عنوانا للهوية والأرض المسروقة،و رفضت أكاديمية الأوسكار ترشيحه سنة 2002، لعدم اعترافها بدولة فلسطين، رغم أنه فاز بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان، ففي أرض الأحلام هوليوود، يحضر الحديث عن القضية الفلسطينية و يعاقب كل من يعبر عن تضامنه مع غزة وأهلها، إذ أنه ثم في 22 من نوفمبر الماضي، استبعاد الممثلة ميليسا باريرا من بطولة سلسلة أفلام الرعب الشهيرة " سكريم"، و نشرت شركة سبايغلاس الأميركية، المنتجة للفيلم بيانا كشفت فيه عن استبعاد الممثلة، التي كتبت على تطبيق إنستغرام: "يتم التعامل مع غزة حاليًا كمعسكر اعتقال... يُحاصر الجميع من دون وجود أي مكان يذهبون إليه، ومن دون كهرباء أو ماء ..هذه إبادة جماعية وتطهير عرقي."

وتعقيبا على ما نشرته الممثلة أصدرت "سبايغلاس" بياناً جاء فيه "موقف شركتنا واضح بشكل لا لبس فيه: ليس لدينا أي تسامح مع معاداة السامية أو التحريض على الكراهية، بما في ذلك الإشارات الكاذبة إلى الإبادة الجماعية أو التطهير العرقي أو تشويه الهولوكوست أو أي موقف آخر يرقى إلى مستوى خطاب الكراهية".

وكانت وكالة المواهب " يو تي أي" قد أعلنت أيضا بعد السابع من أكتوبر،عن استغنائها عن النجمة سوزان ساراندون، بعد مشاركتها في مسيرة مؤيدة للفلسطينيين في مدينة نيويورك قالت خلالها: "الناس يطرحون الأسئلة، ويعلمون أنفسهم ويبتعدون عن غسيل الدماغ الذي يتعرضون له منذ طفولتهم"، وأضافت " لابد من الوقوف مع أي شخص لديه الشجاعة للتحدث علنًا عما يحصل في فلسطين".

كما اتهم نجم فرقة بينك فلويد روجر ووترز "بمعاداة السامية" بسبب مواقفه التي تنتقد الاحتلال الإسرائيلي.أما المديرة بشركة "سي أي أي" لدعم المواهب، الأميركية من أصول ليبية مها دخيل، فقد استقالت من مجلس إدارة الوكالة بعد منشور انتقد العدوان الإسرائيلي على غزة، ثم اعتذرت لاحقا في بيان، واعترفت بأنها ارتكبت "خطأ".

وكشفت الممثلة الأميركية بوبي ليو، أنه تم فسخ عقد عمل لها كانت مدته 6سنوات، جون سبب واضح، وأضافت في تعليق على منصة إكس " أنا واثقة أن السبب هو إدانتي للابادة العرقية في غزة"، كما تم فسخ عقد أمير المصري بعد انضمام إلى مسلسل أميركي بسبب دعمه لغزة، وقال الفنان معقبا " لم أندم على أي شيء" .من جانبه تراجع الممثل مارك رافلو، عن موقفه الداعم بشكل مطلق للقضية الفلسطينية و أعلن اعتذاره عن منشور سابق على مواقع التواصل الاجتماعي، قال فيه إن إسرائيل ترتكب إبادة جماعية في حربها على الفلسطينيين في قطاع غزة، وكذلك الأمر بالنسبة لباريس هيلتون وكيندال جينز و غيرهم، وهو أمر رجعه متابعون إلى ضغوطات يتعرض لها الفنانون والنجوم المساندون للقضية تصل إلى حد العزل و التهميش.

وكان موقع ميدل إيست أي، قد نشر مع بداية العدوان، مقالا للناقد السينمائي المصري جوزيف فهيم، قدم فيه تحليلا لعلاقة هوليوود بالكيان الصهيوني، و استند في تحليل إلى مقال نشرته مجلة فارايتي الأميركية، بينت من خلاله أن جميع الفنانين المعاقبين قد وصفوا الوضع في غزة بأنه "إبادة جماعية"، وهي الكلمة التي أشارت المجلة إلى أنها كانت من المحرمات منذ فترة طويلة في هوليوود، والسبب وراء ذلك ذو شقين: ربط الانتقاد الشديد لإسرائيل بمعاداة السامية، والإيحاء بأن استخدام مصطلح "الإبادة الجماعية" هو استيلاء على صدمات يهودية سابقة

وذكر الناقد في مقاله " بأن السر في الارتباط يعود بنفوذ اللوبي المالي الصهيوني، ويقول الكاتب إن العدد المذهل لنجوم هوليوود الذين دعموا الاحتلال على مر السنين هو الذي ينقل علاقة الحب بين هوليوود و كيان الاحتلال الإسرائيلي، فمن كيرك دوجلاس وسامي ديفيس جونيور إلى إليزابيث تايلور وفرانك سيناترا، احتضنت هوليوود الكيان الصهيوني ودعمته وروجت له بالكامل، وهي معاملة لم يحظ بها أي بلد آخر."